هوامش

تغوص الخطّاطة المغربية سهام كرواض في عوالم الخط العربي، متحركة بخفّة بين إشراقات الحرف وجماليات الزخرفة، مستلهمة من ينبوع التراث، لتنطق لوحات تعكس عظمة اللغة العربية، وتُجسّد رؤية تجمع بين الأصالة والتجديد

الخطاطة المغربية سهام كرواض (العربي الجديد)

سهام كرواض

خطاطة مغربية تبحر في الحرف العربي

الدار البيضاء ـ **حنان النبلي**

تغوص الخطّاطة المغربية سهام كرواض في عوالم الخط العربي، متحركة بخفّة بين إشراقات الحرف وجماليات الزخرفة، مستلهمة من ينبوع التراث الغني، لتنطق لوحات تعكس عظمة اللغة العربية، وتُجسّد رؤية تجمع بين الأصالة والتجديد لهذا الفن العريق. تحمل خريجة أكاديمية الفنون التقليدية بالدار البيضاء، على عاتقها مسؤولية التعريف به وإبراز جمالياته من خلال أعمالها الفنية. تقول: «إن الخط العربي ليس مجرد رسم وكتابة، بل هو فنٌّ وعلم له قواعده وأسسه التي تعلمتها وأعلمها، إنه العالم الذي اختارني وعلمني المحبة والسلام والتسامح والتعمق في فهم الجمال بكل معانيه، فإذا كان الحديث اليوم عن العلاج بالفن بما هو أحد أساليب التعافي والتعبير عن الأفكار وفهم المشاعر، والتعامل مع الحياة وضغوطاتها بشكل أفضل، فإن هذا المجال منحني كل هذه المساحة وأكثر».

تقود مؤسِّسة «سهام الفن» مشروعاً فنياً يهتم بتطويرَ الحرف العربي وإدراجه في الحياة اليومية بصيغ عديدةٍ جديدة بهدف خلق آفاق أوسع للتواصل عبره. وتشارك حاليا في ملتقى القاهرة الدولي لفن الخط العربي في دورته التاسعة (من 24 أكتوبر إلى 2 نوفمبر)، إلى جانب 160 فناناً وفنانة من 16 دولة عربية وأجنبية.

بدأت رحلة سهام كرواض مع الخط العربي منذ سنة 2013 داخل أكاديمية الفنون التقليدية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وبالضبط شعبة فن الخط العربي والزخرفة، حيث تشربت أسرار وقواعد هذا العلم الذي قال عنه إبن خلدون في مقدّمته: «إنّه صناعة شريفة يتميّز بها الإنسان عن غيره، وبها تتأدّى الأغراض، ويطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم». تقول: «كانت البدايات صعبة في مجال جديد لا أعرف عنه شيئاً، غير أنني وجدت الدعم والسند من أساتذة لم يبخلوا عليّ من فيض معرفتهم، كانت السنة الأولى داخل الأكاديمية لدراسة الخطوط المغربية والمشرقية والزخرفة أيضاً، في حين خصصت السنة الثانية للمشاركة في معارض وطنية وورشات وملتقيات، وهنا بالضبط أدركت أن هذا العالم الذي دخلته عن طريق الصدفة، هو شغفي الحقيقي الذي لا يمكن أن أتخلى عنه».

وإذا كان الشغف هو البداية الحقيقية للنجاح كما يقال، فإن الفنانة التي كانت تشتغل في المكتبة الوسائطية لمؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وجدت في الخط العربي تلك الطاقة التي تملأها بالإلهام والحماس لمواجهة تحديات الحياة وضغوطاتها. وقررت بعد تخرجها عام 2015، الاستمرارية والاجتهاد في عالم لم يبح بعد بكل أسراره، فالحروف بالنسبة لها أكثر من مجرد رموز؛ بل بمثابة كائنات حية تتحرك وتنمو تحت يديها، وكأنها تحمل في طياتها قصصاً تنتظر أن تُروى.

تشربت سهام كرواض من نبع الخط العربي وقواعده من الكوفي إلى الثلث والديواني... لكن عملها لم يتوقف عند حدود ما تعلمته؛ بل كانت دائمة البحث عن بصمتها الخاصة. ولعل ما يميزها هو رغبتها العميقة في المزج بين الماضي والحاضر. فهي تؤمن أن الفن يجب أن يتطور مع الزمن، وأنه يمكن للتقنيات الحديثة والمواد الجديدة أن تكون جزءاً من هذا التراث العريق دون أن تفقده جوهره.

وفي هذا الصدد تروي: «إن حبّي للحرف العربي وطموحي أن أخرج به قليلا من عالم اللوحة، وكذا عشقي للخشب الطبيعي وولعي بهذه المادة التي طبعها الله بسحر رباني، جعلاني أفكر في إنتاج أعمال تجمع بين جمال المادة وجلال الحرف». وتضيف: «إن الهدف الأساسي من هذه الأعمال هو تطوير الحرف العربي وتجسيمه وإدراجه في حياتنا اليومية وفتح المجال له أن يدخل بيوتنا بصيغ عديدةٍ جديدة وخلق آفاق أوسع للتواصل بين هذا الفن الجميل والجماهير المحبة له».

باختصار

يهتم مشروع "سهام الفن" بتطوير الحرف العربي وإدراجه في الحياة اليومية بصيغ عديدةٍ جديدة بهدف خلق آفاق أوسع للتواصل عبره

■ ■ ■

تشربت سهام كرواض من نبع الخط العربي وقواعده من الكوفي إلى الثلث والديواني

■ ■ ■

المتأمل في لوحات سهام يلاحظ عشقها الكبير لخط الثلث المغربي بخصوصيته ورونقه وتناسقه وأنواعه

الخط العربي بالنسبة لسهام ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الجمال بصيغة بصرية أكثر تأثيراً، بل هو رحلة مفتوحة للتعريف به وبأنواعه المختلفة ونقله إلى الأجيال المستقبلية بهدف ترسيخه والحفاظ عليه في تجسيد لمقولة «الخط العربي أينما ظهر بهر»، من هذا المنطلق تضع نصب عينيها تكوين وتشجيع الأطفال والشباب على الارتواء من منابعه والتشبع بجماليات وتفرد الخط المغربي. توضح أنه «انطلاقاً من حبي وعشقي لفن الخط العربي والمغربي، وإيماناً مني بخصوصيته وجماله وتميزه وأصالته وتجذره في الثقافة والمجتمع، وإسهاماً في الحفاظ على دوره الثقافي وحضوره الفني وقيمه الجمالية، اخترت مشاركة خبرتي التي راكمتها طيلة مشواري الدراسي والمهني لتمكين شريحة كبيرة من الأطفال والشباب من تعلم قواعد الخط العربي وفنونه عبر تنظيم العديد من الورشات المفتوحة والدروس التطبيقية». وتتابع: «يعد اختياري لمسار التربية الفنية عبر فنون الخط العربي مساهمة مني في التحسيس بأهمية تراثنا الخطي البهي والحفاظ عليه من النسيان».

لا تقتصر مساهماتها على التعليم والنشر فقط، بل تشمل أيضاً استنطاق أسرار الحرف على الورق وداخل تجاويف اللوح الخشبي، والمساهمة في تمثيل المغرب في عدة تظاهرات فنية ودولية تعنى بالخط العربي.

وتشارك سهام كرواض حالياً في ملتقى القاهرة الدولي لفن الخط العربي الذي يحمل هذا العام اسم الخطاط محمد حمام، ويعقد تحت شعار «بناء يتجدد». عن مشاركتها تقول لـ«العربي الجديد»: «أشارك بلوحتين، الأولى بالخط المغربي المبسوط والثانية بالخط الديواني القريب إلى قلبي، وإنه لشرف لي أن أمثل بلدي في حدث فني كبير يجمع ثلة من الفنانين، كما أنني سعيدة باختياري في برنامج الإقامة الفنية الإبداعية من مؤسستي «القلم» و«أنا ليند»، وبتبادل الأفكار والفنون والإبداعات، واكتساب رؤى جديدة وإثراء التجارب لدعم الحوار الثقافي الفني بين مصر والمغرب».

إن المتأمل في لوحات الفنانة يلاحظ عشقها الكبير للخط المغربي بخصوصيته ورونقه وتناسقه وأنواعه سواء منه المبسوط لبساطته وسهولة قراءته، أو المجوهر لجماله وتناسب حروفه وتناسق سطوره... من بين هذه الأعمال نجد لوحة «فلسطين» في نوفمبر 2023، التي خطتها بالمبسوط والجوهر، وتحمل في طياتها رسالة عن القضية الفلسطينية وعن الشعب الصامد رغم الإبادة الإسرائيلية، وقد جاء فيها: احجبوني ولكني دون نقاطي أُقْرَأ، احجبوني ولكني ولو مزقت أُفْهَم، ولو فككت حروفي أُفْهَم ولو غيرت حروفي .. و لو فككت ألواني.. أُفْهَم. أما لوحة «الصمت في حرم الجمال جمال» المقتبسة عن قصيدة الشاعر نزار قباني، فقد اختارت أن تنقش حروفها على خشب الجوز بخط الثلث المغربي الذي منحها انسيابية وتناغماً.

تقول لـ«العربي الجديد»: إن اللوحة الخطية تشبه الجنين، تخرج إلى الوجود بعد مخاض، تبدأ أولاً بالفكرة واختيار النص الملائم ثم تصميمه وإصلاح الحروف، تليها مرحلة التنفيذ التي تتطلب أدوات خاصة من أوراق وحبر وأقلام وطاولة ضوئية، ثم تطبيق العمل على الورق المقهر المعدّ لهذ الغرض، ثم مرحلة «الترتيش» والتنظيف وإزالة الزوائد، وأخيراً اختيار الإطار المناسب لعرضها في شكلها النهائي. وتعكف حالياً على وضع اللمسات الأخيرة لمعرضها الفردي الذي سيضم لوحات خطية على الخشب «تصيبُ القلوب الظمأى فتَرويها، والعيونَ العطشى فتسقيها».

وأخيراً

أصيلة... كل هذه الوداعة

معن البياري

يُساء إلى المدن عندما تنظر، وأنت تزورُها، بعيْن السائح، فهذا يُبعدك ليس فقط عن أنفاس ناسِها وساكنتها والبشر الذين يعمّرونها، بل أيضاً يُخفي عنك ظلالاً ونبضاً حيّاً فيها، لن تراهما. غير أنك لمّا تكون زائراً لمدينةٍ تتوفّر على مقادير باهظةٍ من السكينة، يكون طبيعيّاً أن تنشغل حواسك بالذي تلتقطه عيناك مما قدّامك من جديدٍ ورائق، وجميلٍ من قبلُ ومن بعد. هكذا أراني، في مدينة أصيلة على ساحل الأطلسي في أقصى الشمال الغربي للمغرب، أتفرّج في الناس كثيراً. وأجعل عينيّ تجولان في الفضاء المفتوح، في البحر المنبطح، في النوارس الفرحة، في السماء المغلّفة بغيوم مطرٍ زارنا، في السور الذي يُحيط بالمدينة العتيقة، بالجدران التي رُسمت عليها لوحات ومشهديات عريضةٌ بألوان بلا عدد، بالحيطان البيضاء، بميادين وحدائق وشوارع وساحات (ساحة ابن خلدون مثلا) رائقة. أغبط الشاعر الكونغولي تشيكايا أوتامسي على بديع قوله إنك "هنا (في أصيلة) تحسّ بشهوة عارمة للحياة. تشتهي أن تكون قطّة تطلُب لُطف الملامسة. جدران أصيلة نشيدٌ هامسٌ للأيدي التي شكّلتها". أتذكّر الآن، في زيارتي الثانية المدينة، ضيفاً في منتدى موسمها الخامس والأربعين، تعرّفي أول مرة على اسم هذا الشاعر، في زيارتي الأولى قبل 33 عاماً، ذات موسم للمنتدى. أبّنوه في مرثياتٍ ومطالعاتٍ في ندوةٍ عنه، وأعلن يومها رئيس المنتدى، ورئيس المجلس البلدي للمدينة (ولا يزال المنتخَب دورياً منذ 40 عاماً)، ووزير الثقافة في المغرب في حينه، محمّد بن عيسى، عن إعطاء حديقةٍ في أصيلة اسم هذا الشاعر، ثم صارت الأولى بين سبع حدائق تتالت تسمياتُها، محمد عزيز الحبابي، بلند الحيدري، الطيّب صالح، محمد عابد الجابري، محمود درويش، أحمد عبد السلام البقالي (وهناك ميدان محمد شكري وساحة ليوبولد سنغور).

المدينة صغيرة، سكّانها نحو 38 ألفاً (أقلّ من عدد شهداء الإبادة في غزّة)، تبعد 40 كلم جنوباً عن طنجة. صارت من أشهر مدن المغرب، بعد الذي أحدثه لها المنتدى من ذيوعٍ شاسع، وقد شارك في مواسمه آلاف التشكيليين والشّعراء والأدباء والمفكّرين والأكاديميين والخبراء والسياسيين والإعلاميين، العرب ومن كل القارّات. ترتبك إذا ما فتّشتَ في معاجم العربية عن مفردةٍ تصف بها الأناقة والنظافة واللطافة فيها، ... لا ازدحامات مرورية، ولا اكتظاظ في أي شيء. في وسعك القول إن فائض الوداعة فيها هو السّمتُ الأصفى والأوضح فيها، إذ تغشاك فيها سكينةٌ غزيرة. لم أستطع عدّ الحدائق الصغرى والفسيحة هنا، ولا اللوحات المحميّة جيّداً على جدران المدينة العتيقة ذات الأبواب الخمسة. قرأتُ أن عدّة نوبات تخريب ودمار تعاقبت عليها منذ احتلّها البرتغاليون (1471)، وهم الّذين بنوا أسوارَها المنيعة، وشيّدوا أبراجاً ضخمةً مجهّزة بالمدافع والأسلحة النارية، و"حوّلوها إلى مجرّد قلعة محصّنة". يحبّها الأجانب للزيارة والسياحة وللإقامة، وفيها جالية إسبانية لأفرادٍ منها مطاعم ومصالح. تعرّضت لأكثر من غزو، واستولى عليها الإسبان، قبل أن يغادروها في 1589، ثم عادوا إليها محتلّين في نهاية القرن السابع عشر، وقصفها النمساويون في 1829 والإسبان في 1860. ومقاطع كهذه من تاريخها ينطق بأن أزيلا (تسمية أخرى لها) كان لها موضعها في خطط الغُزاة الذين تعاقبوا على المغرب، لموقعها الخاص، وجغرافيتها، ولمينائها.

مما حدّثنا عنه معارفنا في أصيلة، مدينة العلماء والأولياء والمتصوّفة، إنها كانت في حال بائسٍ قبل أن ينشط في خدمتها اثنان من أبنائها، محمّد بن عيسى ورفيق عمره التشكيلي الراحل محمّد المليحي، منذ شبابهما في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وهذه قصة طويلة (ومثيرة)، إنْ في مجلسها البلدي أو في جمعية المحيط الثقافي التي أسّساها لتمضي في مشروعٍ أعطى، إلى حد كبير، مذاق المدينة الذي يتحسّسه زوّارها والعابرون فيها، ويعايشه، بداهة، أهلوها. وهذا يقرّ به من يصطفّون في ضفة الخلاف مع بن عيسى وخياراته السياسية. وربما هذا بالضبط ما قد يجعلك، كما تشيكايا أوتامسي، تشتهي أن تكون قطةً لتطلب لطف الملامسة، وأنت تطوف في مدينةٍ تحتاج هناءة بال ومزاجاً رائقاً لتسعد بأُنس وفيرٍ وأنت تجولُ فيها، وتنظُر في دورِها وبيوتها، ولا عمارات عالية هنا، وأنت تنقُل عينيك بين العتيق والجديد، وتسعَد بدفءٍ وندىً فيما مطر خفيفٌ وغير خفيفٍ حواليك. ... ولكن، هل في المقدور أن تقبض على حفنةٍ من هناءة بالٍ وقسطٍ من مزاج رائق، وليس من خبرٍ يسرّ البال تعثُر عليه، في غضون عملك تتسقّط الأخبار وتنشرها.

> مدينة تحتاج هناءة بال ومزاجاً رائقاً لتسعد بأُنس وفيرٍ وأنت تجولُ فيها، وتنظُر في دورِها وبيوتها

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**